أوراق إستراتيجية

مستقبل لبنان

(نقاش لموضوع عام)

* عقد قسم برامج المعلومات الدولية التابع لوزارة الخارجية الأميركية في العاصمة واشنطن، مكتب العلاقات العامة في السفارة الأميركية في إسرائيل ومركز الأبحاث العالمية في العلاقات الدولية (GLORIA) حلقة بحث عبارة عن مؤتمر دولي مسجل على شريط فيديو يركز على الشؤون المحلية والخارجية في لبنان. وقد درس الخبراء الإسرائيليون والأميركيون توازن القوى والنزاع على السلطة في البلاد، العوامل الخارجية والفرص المستقبلية.

وهذه هي السير الشخصية لحياة المشاركين في حلقة البحث. وهذه الحلقة جزء من سلسلة حلقات لمنتدى الخبراء التابع لمركز GLORIA.

السير الشخصية لحياة المشاركين في الحلقة

الدكتور بول أ. جوريديني: مستشار لعدد من الشركات ومشاريع الأعمال الخاصة، وهو أيضاً مدير ومساعد كبير لـ Jureidini and Mclauria. عمل الدكتور جوريدني من العام 1975 وحتى 1995 كنائب رئيس في Abbolt Associates. وكان من العام 1961 وحتى 1975 موجوداً في "المعاهد الأميركية للأبحاث"، حيث شغل المراكز التالية: مديراً لـ"مركز الشرق الأوسط في مركز الأبحاث حول الأنظمة الإجتماعية"، كما عمل كرئيس لفرع أفريقيا– الشرق الأوسط في "مركز تحليل المعلومات الثقافية". وبالإضافة الى المقالات ودراسات الأبحاث، ألف الدكتور جوريديني 7 كتب حول الشرق الأوسط وكان مساهماً أساسياً في 6 كتب أخرى.

الدكتور عمري نير: محاضر في جامعة تل أبيب، الجامعة العبرية وجامعة بن غوريون في النقب. أما مجال خبرته، فهي السياسة اللبنانية، شيعة لبنان، والشيعة في العالم العربي. ومن بين منشوراته، أصدر كتاب "الشيعة خلال أزمة 1958 اللبنانية"، الصادر عن الدراسات الشرق أوسطية (تشرين الثاني 2004). وتتضمن المنشورات المقبلة "السياسة الشيعية في لبنان: بين العروبة، التشيّع واللبننة"، والسيرة السياسية لحياة نبيه بري.

البروفسور باري روبن: مدير مركز الأبحاث العالمية للشؤون الدولية (GLORIA) ومركز Interdisciplinary (IDC) في هيرزيليا/ إسرائيل. وهو محرر مجلة المراجعة الشرق أوسطية للشؤون الدولية (MERIA)، ومجلة الدراسات التركية. من بين كتبه كتاب "الحقيقة

حول سوريا"، "ياسر عرفات: سيرته السياسية"و "مأساة الشرق الأوسط". وكان البروفسور روبن مستشاراً للعلاقات الخارجية في "الوقف الوطني لعضوية العلاقات الدولية الإنسانية"؛ المعهد الأميركي للسلام، "مؤسسة هاري غاغينهيم ومركز ليونارد دايفي الخيري؛ وهو زميل كبير في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، وفي معهد السياسة الخارجية في جامعة هوبكينز ومركز الدراسات الإستراتيجية والدولية في جامعة جورج تاون.

لي سميث: زميل زائر في معهد هادسون في واشنطن، وصحفي يساهم بعدد من المنشورات المختلفة حول الشؤون العربية والإسلامية، بما فيها **The New York Times, State.com**، وبوسطن غلوب ووايرد سميث، التي كان مركزها في الشرق الأوسط معظم الست سنوات الماضية. غطى حرب إسرائيل ضد حزب الله في الصيف الماضي وله معرفة مباشرة ومكثفة (من المصادر الأصلية) بالساحة السياسية اللبنانية، حيث عاش هناك حوالي عامين. وسوف يصدر كتاب له حول الشرق الأوسط، بعنوان "غابة النمور: السياسة، المجتمع، الثقافة وصدام حضارات الشرق الأوسط"، عن مؤسسة **Doubleday**، وذلك في خريف **2008**.

الدكتور جوناثان سباير: وهو زميل أبحاث كبير في مركز الأبحاث العالمية في الشؤون الدولية (**GLORIA**)، هيرزيليا/ إسرائيل. مستشار سابق للشؤون الدولية في وزارة البنى التحتية الوطنية الإسرائيلية، ومسؤول سابق عن المكتب الإعلامي للحكومة. وقد نُشرت تعليقاته وتحليلاته حول شؤون الشرق الأوسط بشكل واسع في مختلف الصحف والمجلات، بما في ذلك الغارديان، هآرتز، والجيروزاليم بوست ومنشورات عديدة أخرى.

.....

حلقة البحث

الدكتور بول جوريديني: على حزب الله أن يقرر ما إذا كان سيبقى ضمن إطار عمل البلاد؛ أو ما إذا كان يريد تمرير"حماس" أخرى، الإستيلاء على الأراضي التي يسيطر عليها، وإدارتها بصفتها شبه دولة مستقلة. وهذا يمكن أن يحصل كحقيقة يتم تجاهلها رسمياً أو كجزء من وضع يكون فيه لدى لبنان حكومتين. ليس هناك من شك بأنّ حزب الله يمثل الشيعة في حسابين فقط: إنه الحامي لكل المكاسب التي حصل عليها الشيعة منذ العام **1975** وحتى الآن، والشيعة مصممون على المحافظة على هذه المكاسب. الثاني، ليس هناك من شك بأنه حين تتعلق المسألة بحزب الله ضد إسرائيل، فإنّ المجتمع الشيعي سوف يدعم حزب الله. إلا أنّ حزب الله، برأيي، قد فقد الكثير من هيبته ومكانته في لبنان– وفي العالم العربي– منذ صيف **2006**، بما يتعلق بحربه مع إسرائيل والأحداث الأخيرة التي حصلت فيها صدامات بين المجتمعات اللبنانية.

وبالنتيجة، كل شخص في لبنان ينظر الى حزب الله على أنه ميليشيا شيعية مهتم فقط بحماية الشيعة والمصالح الإيرانية. فهم لم يعودوا يعتبرون حزب الله "الحركة التحريرية"، فهم لا يحررون أي شيء. إنّ محاولة حزب الله إسقاط رئيس الوزراء السني المُمثّل والمنتخب أمر غير مقبول في العالم السني. كما صدرت تصريحات لشيعة معروفين جداً يختلفون مع حزب الله بشدة.

إنّ حزب الله، على كل حال، بإمكانه الإنتظار. فبعد **17** عاماً من الآن، سيكون قد تضاعف عدده، في حين أنّ المجتمعات اللبنانية الأخرى لن تكون كذلك. لكن بإعتقادي، لا يعود القرار بالكامل لحزب الله. فإيران وسوريا مشتركتان فيه أيضاً. فسوريا، بالتحديد، أقل

صبراً بما أنها تريد تقويض حكومة لبنان الحالية للتخلص من إمكانية محاكمة المحكمة الدولية لقادة سوريين بشأن الإغتيالات الحاصلة في لبنان، لكني لا أزال أقول بأنّ القرار هو بأيدي حزب الله حقاً.

الدكتور عمري نير: إنّ المجتمع الشيعي القوي في لبنان ليست مسألة مزاج أو تكتيكات سياسية فحسب، وإنما تعكس الوضع الحقيقي للبلاد. فبسبب التحول الديمغرافي، أعتقد بانّ هذا الأمر هو نوع من الثورة الإجتماعية والسياسية البطيئة التي ستجعل الشيعة، في النهاية، مجتمعاً قائداً في لبنان. فلا الغرب ولا إسرائيل سيكون لهم، على الأرجح، أي نفوذ في هذه العملية، برغم أنّ السوريين بإمكانهم ذلك. وبشكل مماثل، لا يبدو مرجحاً وجود قيادة شيعية بديلة وجدية بالنسبة لحزب الله في المستقبل القريب.

البروفسور باري روبن: إني آمل، برغم ذلك، أن لا يسيء أحد تقدير القوى المعارضة لحزب الله داخل لبنان. فمن الواضح أنّ الإئتلاف الحكومي لم تردعه الإغتيالات أو أية هجمات أخرى، والحقيقة هي أنّ هذا الفريق بإمكانه فعلاً أن يمثل 60 الى 65 بالمئة من الشعب. فهم لن يستسلموا، وقد يكونوا قادرين بالفعل على مقاومة محاولة حزب الله الإستيلاء على الحكم أو ترك تلك المجموعة تعارض السلطة. وهذا سيكون صحيحاً، خصوصاً إذا ما حصلت الحكومة اللبنانية على مقدار كافٍ من المساعدة الخارجية، الأمر الذي، بعد كل شيء، لن يؤدي سوى الى توازن هؤلاء مع المساعدة الخارجية التي يحصل عليها حزب الله من إيران وسوريا.

لي سميث: إنّ الأكثرية في لبنان قد وقفت بوجه حزب الله ويبدو أنها مستعدة للقيام بذلك حتى مع خطر نشوء حرب أهلية.

البروفسور باري روبن: مرة أخرى أقول، أريد أن أشدد على أهمية عدم إعتبار أن مسألة إستيلاء حزب الله على الحكم مسألة حتمية. هاكم بعض الأخطاء التي قام بها حزب الله:

أولاً، لقد أطاح بفرصة بناء تحالف مع السنة. فبإتخاذه جانب الوجود المستمر للجيش السوري وكونه عميلاً لدمشق– في وقت كانت سوريا متورطة، على وجه التأكيد تقريباً، بقتل رفيق الحريري، الزعيم اللبناني السني الأهم– وضع حزب الله نفسه بموضع العدو للسنة. إنّ نبذ إمكانية وجود جبهة مسلمة ودفع السنة، ومعظم المسيحيين والدروز، معاً، جعل الأمور أصعب بالنسبة لحزب الله لجهة إظهار قوته على حساب حكومة لبنانية.

ثانياً، تعتبر حرب 2006 ضد إسرائيل– من حيث كلفتها– أقل شعبية في لبنان مما هي عليه الحال في أي مكان آخر من العالم الناطق بالعربية. فهناك إستياء عميق ومرير ، عززه إفتقار حزب الله لبرنامج إعادة إعمار يقوم بإتباعه. إنّ حرباً أخرى مع إسرائيل لن تعمل على تعزيز أجندة حزب الله المحلية.

ثالثاً، إظهار حزب الله ولاءه المتكرر لسوريا وإيران أكثر من لبنان. فعلى سبيل المثال، لم يخرج حزب الله من الحكومة اللبنانية للمطالبة بمستوى حياة أفضل للشيعة أو للحصول على إستثمار أكبر من الدولة في مناطقهم، وإنما لوقف المحكمة الدولية حول سوريا. وفي حين أن حزب الله قد لا يكون، بشكل رئيسي، حركة ثورية إسلامية، فإنه لا يتصرف كحزب وطني لبناني أيضاً. فحزب الله يتصرف كحركة مجتمعية شيعية متجاوبة بشدة مع مصالح دمشق وطهران.

أخيراً، وبعد مجهود طويل إقترن مع تهديدات عديدة، لم ينجح حزب الله بتوسيع سلطته على حساب الحكومة. بمعنى آخر، أنه في حين أن حزب الله قد يقوم بما هو أفضل في المستقبل، فإنّ إستراتيجيته وتكتيكاته حتى الآن لم تكن ناجحة بشكل لامع.

الدكتور بول جوريديني: هذا يحضرنا الى تطور "الورقة العاصفة" الذي يقلقني الى حد كبير. فنتيجة لجهود حزب الله في إسقاط الحكومة، كان عدد من الجهاديين والإرهابيين يتسللون الى لبنان؛ وليس فقط بما يتعلق بصدام نهر البارد، وإنما في بيروت، صيدا والشمال أيضاً. كل هذا يحدث مع الدعم المفترض للمنظمات غير الحكومية ومع الأموال الآتية من الخليج. فالسنة، كما نعلم جميعاً، لم يكن لديهم ميليشيا مطلقاً. وما يقلقني أكثر هو أنه إذا إستمر هذا التهديد، فإنّ هؤلاء الجهاديين قد يستولون على الشارع السني من الحريري والسنيورة. وأنا متأكد بأنّ حزب الله واعٍ لهذا الأمر. وهذا هو السبب الذي لأجله أقول بأنّ المفتاح في أيديهم (حزب الله). فإما سيعثرون على طريقة لوقف تقويض الحكومة أو سيكون لديهم حكومتان، والذي بإعتقادي سيكون بداية التقسيم.

الدكتور عمري نير: بخصوص الوضع في السياسة الشيعية، هناك بعض الأصوات المعارضة الجديدة لحزب الله. إلا أنّ هؤلاء الأخصام لا يملكون الدعم الشعبي الضخم. فالبديل المحتمل الوحيد هو حركة أمل، التي لا تزال تبدو ضعيفة على المدى القصير. ومع ذلك، تسيطر أمل على 15 مقعداً في البرلمان اللبناني، في حين يسيطر حزب الله على 14 مقعداً. وتسيطر أمل، في الجنوب اللبناني، على 84 قرية في حين يسيطر حزب الله على 87، حيث الفارق ليس كبيراً جداً.

أما السؤال المطروح، فهو ما الذي يمنع نبيه بري، زعيم حركة أمل، من أن يكون البديل؟ هناك أسباب لذلك. فالأزمة السياسية الحالية تساعد، في الواقع، حزب الله. فقد منعت إمكانية قيام الحكومة، التي تعتبر حركة أمل، تقليدياً، فيها، من قيادة جهود إعادة الإعمار. وبذلك، تُرِكَت كل المشاريع لحزب الله والتمويل الإيراني المرسل له. وبالمقابل، يعتبر حزب الله الموظّف الأكبر الثاني في لبنان بعد الحكومة، حيث تتلقى أكثر من 35000 عائلة رواتبها من حزب الله مباشرة. أما السبب الآخر الذي لأجله أخذ بري دوره كوسيط بين الفئات اللبنانية، فهو قبول حزب الله به كونه مفيد بذاته. وهذا يشكل نقطة قوته وضعفه معاً.

الدكتور جوناثان سباير: إنّ هواجس إسرائيل الآنية إزاء لبنان تركّز على ما تعتبره تنفيذاً محدوداً وجزئياً، بشكل مفرط، للقرار الدولي 1701، الذي أنهى حرب 2006 بين حزب الله وإسرائيل، لجهة منع تهريب الأسلحة عبر الحدود اللبنانية– السورية وتعزيز صلاحيات اليونيفيل لتمكينها من أخذ دور فعال في منع حزب الله من عودة التسلح في الجنوب اللبناني.

أما الآن، فقد أصبح مقبولاً، عموماً، بأنه حصل هناك تهريب للأسلحة على مستوى كبير من سوريا الى حزب الله منذ الهدنة. وقد تعرض فريق التقييم لهذه المسألة في تقريره الى مجلس الأمن. أما الجيش اللبناني، بحسب هذا التقرير، فيفتقر الى الخبرة، التجهيزات، والوحدة الضرورية. وقد فشلت اليونيفيل في الإنتشار على الحدود، وبذلك فإنّ حزب الله كان يعيد تسليح نفسه على عكس التفويض المعطى لليونيفيل.

وهناك أيضاً دليل هام على أنّ حزب الله أعاد، والى حد كبير، بناء بنيته التحتية العسكرية بعد الأضرار التي تكبدها في الحرب، وذلك برغم وجود 8800 عنصر من اليونيفيل و 12000 جندي لبناني الذين يفترض بهم، بحسب ما هو مزعوم، منع حصول ذلك الأمر. فإسرائيل تريد رؤية اليونيفيل منتشرة على طول الحدود السورية– اللبنانية والحصول على حقوق إقتحام وتفتيش أماكن سكنية في الجنوب– مع تفويض يقع تحت الفصل السادس بدلاً من السابع من المرسوم الدولي– ما يمكّن اليونيفيل من لجم حزب الله بقوة أكبر. وسواء كان هذا الأمر ممكن عملياً أم لا فإنه من دون حصول ذلك، سيكون بإمكاننا توقع حدوث أزمات وهجمات أكثر عبر الحدود في المستقبل.

أما إسرائيل، فترى الأحداث في لبنان من خلال منظور تقييمها الأكبر للتهديد الإقليمي، الذي يعتبر إيران وعملائها التهديد الإقليمي الرئيس لها. فلبنان، من وجهة نظر إسرائيلية، هو واحد من عدد من المهددين الإقليميين الذين تسعى إيران وعملائها من خلالهم زيادة قوتهم، مع تنامي تهديد العنف ضد إسرائيل في الوقت الذي تتنامى فيه قوتهم. ويعتبر المسؤولون الإسرائيليون بأنّ أياً من الفاعلين في هذا

التحالف الإيراني لا يريد الآن البدء بصراع مباشر آني مع إسرائيل، إلا أنّ هذا التحالف لديه هدف إستراتيجي يعارض وجود إسرائيل كما يعتبر مسألة بناء قوته في لبنان جزءاً من الإستراتيجية والحرب الطويلة في هذه المرحلة. لذلك، ومع عودة حزب الله للتسلح، فإنّ إمكانية تجدد الصراع ما هي إلا مسألة وقت.

أما بخصوص اليونيفيل، فيبدو بأنّ قواتها قد تلعب دوراً محدوداً للغاية، ويمكن لساخر ما أن يصفهم، الى حد ما، كعاملين تحت حماية حزب الله. فالسؤال لا يتعلق بإمكياراهم، وإنما بعدم قيامهم بشيء. وكان أحد الضباط الإيطاليين قد أخبرنا بأنّ قوات اليونيفيل مشتركة بعدد من الأنشطة المشكورة، مثل توزيع الألعاب على الأطفال، لكن عندما يتعلق الأمر بحزب الله، فقد كان صريحاً جداً: "ليس لدينا الإرادة السياسية في إيطاليا لتحمل أكياس الجثث وهي تعود الى الوطن". فإذا ما تعلق الأمر بالحرب، فإنّ إمكانية حصول تدخل إسرائيلي أعمق يعتبر أمراً واقعياً. وهذا يعني انّ إمكانية حدوث تصادم إسرائيلي مع القوات السورية أمراً واقعياً جدا.

لي سميث: هناك مشكلة أخرى مع اليونيفيل. فإذا ما أثبتت عدم فعاليتها، فإنّ ذلك سيزيد من إيمان سوريا بأنّ القرارات الدولية التي دفعت بجيشها خارج لبنان وأعطت التفويض لإجراء التحقيق بالهجمات الإرهابية السورية المزعومة داخل لبنان، يمكن التقليل من شأنها. أما التخوف الأوروبي من تعرض قواتها العاملة في اليونيفيل لهجمات، فيمكن أن يقوض الحل الأوروبي المتعلق بقضايا الشرق الأوسط. وهذا وضع خطير جداً.

وبالتحول الى السياسة الأميركية، يعتبر لبنان مثالاً هاماً للغاية عن كيفية تقديمنا للمساعدة لدول شرق أوسطية تتصرف كدولة. إذ يجب رسم خط موازٍ– أو معاكس– بين الحكومة اللبنانية وحُكم فتح الفاشل لغزة، من خلال السلطة الفلسطينية.

ولنُشر الى الإختلال بين أداء الحكومة اللبنانية الآن وما حصل هناك في فترة السبعينات. ففي ذلك الحين، لم يكن السنة ليتصرفوا ضد قوى راديكالية، وإنما إعتبروا هذه المجموعات والإيديولوجيات، وبشكل مفروغ منه، كحلفاء. أما بالنسبة للتعامل مع مجموعة فتح الإسلام اليوم، على كل حال، فقد ذهبت الحكومة السنية في لبنان– بمساندة دول خليجية وموافقة عامة من المصريين والأردنيين– الى المخيمات ووضعت يدها على المجموعة الفلسطينية المسلحة.

البروفسور باري روبن: قد لا يكون هناك أي بلد في العالم تلعب القوى الخارجية دوراً رئيسياً كهذا فيه كما يحصل في لبنان. أما وجهة نظري فهي أنّ الأولوية رقم واحد لسوريا هي التخلص من المحكمة، والثانية إستعادة السيطرة على لبنان. يمكننا مناقشة هذا الأمر في مصطلحات إستراتيجية، تاريخية وإيديولوجية، لكن يجب علينا أن لا ننسى المصطلحات الإقتصادية. إنّ قيمة لبنان هو ما صنعه للسياسة السورية الفاشلة لجهة تطوير إقتصاد قابل للعمل.

ولذلك، وإذا كانت سوريا تريد السيطرة على لبنان، فما هي الإستراتيجيات التي تستخدمها؟ لدى سوريا العديد من الأدوات في لبنان، بما فيها حزب الله، عون وعدد من السياسيين المحنكين. وهناك ذخائر لها أيضاً تستخدمها لأعمال عنف، بما فيها حزب الله، الحزب القومي السوري، فتح الإسلام والمخابرات السورية نفسها. أما المقاربة فتقول للبنانيين: "طالما أنّ سوريا لا تلعب دوراً رئيسياً في لبنان، فأنتم لن تعرفوا السلام. فالإغتيالات وأعمال الإرهاب ستُظهر لكم بأنه تحت الجناح السوري فقط، يمكنكم الحصول على الهدوء". أما بالمصطلحات السياسية، فقد قام السوريون فعلاً بالدفع قدماً في دعم حزب الله، وكان ذلك خطأً رئيسياً. ربما كان عليهم التشديد أكثر على سياسيين تقليديين بإمكانهم السيطرة عليهم. فبعد كل شيء، يعتبر الرئيس اللبناني سياسي موالٍ لسوريا. فلو أنهم لعبوا الأمر بتلك الطريقة، لكان بإمكانهم أن يقولوا للبنانيين: "أنظروا، نحن لن نجلب لكم السيطرة الشيعية أو دولة إسلامية تهدد طريقتكم بالحياة أو مصالحكم الإجتماعية".

لكن بدلاً من ذلك، أصبح السوريون عالقين في شرك حركة ثورية تعود الى مجتمع واحد بعينه. نعم هناك عون، نعم هناك سياسيين سنة عتيقين، إلا أنهم، بالواقع، علقوا إستراتيجيتهم على فئة واحدة.

فبالنسبة لسوريا، وكذلك حزب الله، يمكن لمحاربة إسرائيل والإستيلاء على لبنان أن تكونا إستراتيجيَتَيْن متعارضتين جداً. فما هو مقدار الإهتمام الخاص الذي تريد سوريا أن توليه للبنان بخصوص تحويله الى نقطة ضغط عسكري ضد إسرائيل؟ لدينا هنا هذه السلسلة المهمة والمثيرة من التطورات على الجبهة الديبلوماسية السورية. فبإستخدامه الوسيلة الديبلوماسية، يمضي النظام السوري الى الأوروبيين والولايات المتّحدة قائلاً لهم: "نحن سنتحدث حول إستعادة مرتفعات الجولان، لكن إذا كنتم فعلاً تريدون أن ترشوننا (بهدف التخلص من المشكلة)، وإذا لم تكونوا تريدون حرباً أخرى مع إسرائيل أو المشاكل التي نثيرها أمامكم في العراق أو حالة عدم الإستقرار في لبنان، عندها أعطونا أدوار لبنان الرئيسية وبالمقابل تخلصوا من المحكمة. دعونا نعود الى لبنان ونصبح قوة مهيمنة، ومن ثم بإمكاننا القيام بأمور لكم في مجالات أخرى".

وقد رفضت السياسة الأميركية، في الوقت الحاضر، هذا الأمر من أساسه، إلا أنّ الناس يلعبون بفكرة الشراكة. فإذا كان هناك من رئيس ديمقراطي في العام 2009، فمن ذا الذي يريد محاولة القيام بذلك، فنحن سنرى ما الذي سيحدث. لكني لا أعتقد بأنّ الولايات المتّحدة سوف تسلم لبنان الى سوريا. وهذا هو السبب الذي لأجله أعتقد بأنّ المحادثات مع سوريا سوف تنهار في النهاية. فالسوريون ذهبوا الى السعوديين وطالبوا بالكثير في لبنان. أما السعوديون، فلن يقبلوا بذلك. ومن ثم ذهبوا الى الأوروبيين. أما في بعض الحالات، فهناك إشارات تدل على أنهم سيقبلون صفقة كهذه برغم أني، في النهاية، لا أعتقد أنّ شيئاً من هذا القبيل سوف يحدث. لذا، تلعب سوريا على العنف، الديبلوماسية والسياسة اللبنانية الداخلية لتعزيز هيمنتها هناك.

أما بالمصطلحات السياسية، فإن إيران أقل أهمية من سوريا. وقد يكون الدور الإيراني في مساعدة حزب الله من خلال المال والسلاح أكثر أهمية، إلا أنّ المصالح الإيرانية بخصوص لبنان نفسه تعتبر أكثر عمومية. إذ علينا أن لا ننسى مطلقاً بأنّ السيد نصر الله هو الممثل الرسمي للمرشد الأعلى لإيران في لبنان، لكن ماذا تريد إيران من حزب الله أن يفعل في لبنان؟

أخيراً، وفي مناقشتنا للعوامل الخارجية، من الضروري حتماً التساؤل عن نوع الدعم الدولي الذي تملكه الحكومة اللبنانية. فهل سيقف الأوروبيون، وكذلك الأميركيون، مع لبنان لمكافحة النفوذ الإيراني والسوري؟ إنّ الحكومة اللبنانية هي الحليف الأميركي الأكثر إعتماداً في العالم العربي. وبرغم ما يقولونه، لا يُعتبر المصريون والسعوديون مستعدين، إلى هذه الدرجة، للوقوف بوجه النفوذ الإيراني. لكن، وبسبب طبيعة وضعها، ليس لدى الحكومة اللبنانية خيار. إنها على خطوط الجبهة الأمامية وعليها مكافحة هذا النفوذ لتبقى وتستمر. إنّ أهمية الحكومة اللبنانية، ومن وجهة نظر السياسة الأميركية، مهم للغاية. وبإعتقادي، إنها أهمية غير مقدرة كثيراً.

الدكتور بول جورديني: دعوني أبدأ بالقول بأنّ هناك إختلافاً بعيداً ومميزاً بين حزب الله وأمل. فالمجتمع الشيعي ينظر الى حزب الله على أنه واسطة دينية مع إيران، ولديه نوع من المشروعية. أما أمل، فتُعتبر أساساً بأنها أداة سورية ولا شيء أكثر من ذلك. وليس من شك بأنّ نبيه بري كان قادراً على إستخدام موقعه لتوظيف عدد من الشيعة في الحكومة و صفقات الأعمال الكبيرة. فليس هناك من فندق واحد، كازينو، خطوط جوية أو أي شيء آخر لم يكن مجبراً على توظيف وإستخدام موظفين شيعة. إلا أنّ المجتمع الشيعي ككل ليس لديه إحترام كبير لبري.

وبالمقابل، يملك السوريون ثقة كاملة بنبيه بري، لأنه رجلهم. فهم من خلقه، وهم من يستمر بدعمه. إنهم المهندسون للتحالف الإنتخابي بين أمل وحزب الله، هذا التحالف الذي سمح لبري بالحصول على عدد الأصوات الذي حصل عليه. وقد فُرض هذا التحالف على حزب الله. أما السوريون، من جهة أخرى، فلا يثقون بحزب الله، لأنهم يرون أنّ ولاءه هو لإيران أكثر بكثير منه لسوريا.

أما بالنسبة للجيش اللبناني، فقد تماسك معاً في السنوات الأخيرة، لأنّ الجميع في لبنان أرادوا ذلك. وفي اللحظة التي يقرر فيها حزب لبناني مثل حزب الله بأنه لا يهتم إذا ما حصل وتفكك الجيش اللبناني، فإنّ هذا الجيش سوف يتفكك. هكذا بكل بساطة. فالجيش لا يملك التدريب أو التجهيزات للسيطرة على الحدود ووقف تهريب السلاح. إنه ممتد وموزع بين نهر البارد والجنوب وحفظ النظام في بيروت. وليس هناك من مجال لأن يقوم الجيش اللبناني بتولي أمر حزب الله ونزع سلاحه لأنه، وبعيداً عن الإفتقار للإرادة السياسية لفعل ذلك، سوف يخسر. فالجيش اللبناني لا يدري كيف يقاتل في حرب مكافحة تمرد، فقد إستلزمه شهراً كاملاً للتخلص من 300 جهادي في نهر البارد. لذا، هو لن يكون قادراً على إسقاط معاقل حزب الله.

أما بما يتعلق بإسرائيل وحزب الله، فأنا مقتنع جداً بأنّ إسرائيل لا يمكنها ضرب حزب الله من دون القيام أولاً بتولي أمر سوريا، ونقطة على السطر. فإسرائيل بإمكانها قطع كل المسافة الى بيروت ودفع حزب الله للخلف، وسوف يتراجع حزب الله ويتراجع لينتهي به الأمر في المناطق المسيحية من دون أن يكون لأحد القدرة على وقفها. لكن في النهاية، سيكون على إسرائيل الإنسحاب، وحزب الله سيعود. فالطريقة الوحيدة إذن لتغيير المعادلة في لبنان هي تغيير المعادلة في سوريا. ومن دون ذلك، فإنّ أي حرب مع حزب الله هي حرب خاسرة وهو ما يقلقني. فهذه الحرب ذات نتائج مؤقتة ولا توصل الى اي مكان.

أما الآن، فالكل مقتنع بأنه إذا ما كان هناك إنقلاب في سوريا، فإنّ الإسلاميين السنة هم من سوف يستولي على الحكم. حسناً، ربما الأمر كذلك، لكني مقتنع بأنه إذا كان هناك إنقلاب ناجح في سوريا، فإنه سوف يؤدي الى حرب أهلية في البلاد بين العلويين والسنة، الأمر الذي قد يدوم الى 20 عاماً. وقد يعطي ذلك الوقت اللازم للمنطقة لتنظيم سلام ما فيما بينها في الوقت الذي تجري فيه الحرب في سوريا. لكني لا أرى طريقة يمكن فيها لأي شخص الفوز في لبنان من دون مهاجمة سوريا أولاً، بطريقة أو بأخرى. فأنا لا أرى السوريين يتغيرون. وبحسب ما أرى، وطالما أنّ جورج دبليو بوش موجود في البيت الأبيض، وطالما أنّ هناك 160000 جندي في العراق، فإنّ السوريين سيظلوا يشعرون بخطر التهديد، لذلك فهم سوف يستمرون باللعبة التي يلعبونها.

ولا أعتقد بأنّ لدى الإيرانيين المصالح نفسها التي لدى سوريا في لبنان. وأنا واثق بأنّ آخر شيء يريده الإيرانيون في هذه المرحلة هو دخول حزب الله في حرب أخرى مع إسرائيل، لأنهم يفضلون إبقاء هذه الورقة لوضع آخر تقوم فيه إسرائيل بمهاجمة المواقع النووية في إيران. وعندها، بحسب إعتقادي، سوف يبدأ حزب الله بإطلاق صواريخه على إسرائيل. ولا أعتقد بأنّ الإيرانيين يريدون حرباً مهدورة مرة أخرى، كما كانت حرب الصيف الأخيرة من وجهة نظرهم.

وأنا أقدر كثيراً جهود الحكومة الأميركية في دعم الحكومة اللبنانية، فهو مفيد ويساعد جداً، لكن في النهاية لا أعتقد بأنّ الولايات المتّحدة لديها سياسة تتعلق بمن سيكون رئيساً للبنان وكيف يكون ذلك، رئيساً ليس موالياً لسوريا. ونحن نأمل بطريقة ما بأنّ يكون بإمكان تحالف 14 آذار، بشكل ما، التماسك معاً والخروج بشيء، وأعتقد بأنّ تحالف 14 آذار يرسل إلينا كثيراً من الكلام الفارغ والمتفاخر حول تلك القضية، لأنهم مستمرون بالقول لنا: "إنتظروا حتى منتصف تشرين الثاني، وعندها سوف يستسلم تحالف 8 آذار وسوف ننتخب الشخص الذي نريده". أما لا أرى حزب الله مستسلماً، ولماذا يفعل ذلك؟

الدكتور عمري نير: أنا أعتقد بأنّ معظم الشيعة، حالياً، يعتبرون حزب الله المنصة الأفضل لتعزيز طموحاتهم الإجتماعية والسياسية. نحن شاهدنا ذلك خلال فترة قصيرة جداً من الزمن في فترة السبعينات، حيث إنتقل عدد من الشيعة من دعم الشيوعيين الى دعم أمل، التي كان لديها عناصر دينية شيعية قوية، وكذلك توجه لبناني جداً. وفي خلال بضعة سنوات أخرى، إنتقل معظم هؤلاء لدعم حزب الله، الذي يعتبر، إيديولوجياً، الضد للحزب الشيوعي.

وكان على حزب الله التخفيف من إيديولوجيته الإسلامية من حيث كانت بدايته، أي في منتصف الثمانينات. فبالكاد تجد فارقاً بين تصريح حزب الله الرسمي للشعب اللبناني وبين إيديولوجية أمل التي لم تتغير منذ السبعينات، حول القضايا المحلية، القضايا الفلسطينية الداخلية، وموقفها تجاه إسرائيل، ونقاط أخرى عديدة. وإنتقل حزب الله بإتجاه "اللبننة"، وتبنى معظم إيديولوجية أمل في حين إنتقل معظم المجتمع الشيعي من أمل الى حزب الله. وقد قال البروفسور روبن بانّ لبنان ربما يكون الدولة الأكثر تعطلاً وتعوقاً بسبب القوى الأمنية في التاريخ الحديث، وهناك سبب لذلك. فالتوازن السياسي يجعل لبنان في وضع يجب أن تكون السلطة المركزية فيه ضعيفة، وإلا لن يكون هناك توازن. ولأنه ضعيف جداً، فإنه يستدعي، بالواقع، التدخل الخارجي.

إنّ العملية التي يصبح فيها الشيعة المجموعة المهيمنة في المجتمع والسياسة اللبنانية أمر يتعذر تجنبه. وفي ضوء هذه الفرضية، فإنّ الطريقة الوحيدة أمام الغرب، الولايات المتّحدة وإسرائيل التي بإمكانهم التأكيد فيها على فرض درجة معينة من السيطرة على هذه العملية الطبيعية هي من خلال سوريا. أما وجه التناقض هنا بالنسبة للأميركيين، وكما قال السيد سميث، فهو أنّ النظام في سوريا سيصبح، في يوم ما، سنياً. وبذلك، فإنّ المفترض بكم المراهنة على نظام لن يكون، في مرحلة ما من المستقبل، موجوداً.

إنّ لبنان هو أيضاً ساحة ميدان في هذا النزاع بين التحدي الإيراني والهيمنة الأميركية. بالإضافة الى ذلك، لبنان متورط في نزاع إقليمي أكبر بين الإسلام الشيعي والسني. ومرة أخرى أقول، تواجه الولايات المتّحدة مأزقاً محيراً هنا. فإذا دعمت السنة، فإنّ عليها التعامل مع حقيقة أنّ معظم الجماعات الإسلامية في المنطقة سنية، وإذا ما ساندت الشيعة، فإن هذا يعني أنها تأخذ جانب إيران. لذا، فإنه ليس خياراً بين الجيد والسيء، وإنما هو خيار بين السيء، والسيء جداً، والسيء جداً جداً.

لي سميث: هذه طريقة مثيرة لختم الحديث، أقصد بين السيء والسيء جداً، لكني أردت التعليق على أمرين في طرح الدكتور نير. فلبنان بلد مهم لسوريا، مهم للعربية السعودية ومهم لإيران. لكن لبنان ليس سوريا ولا السعودية ولا إيران. وهذا هو السبب الذي لأجله يُعتبر لبنان الأمل، بطريقة ما، في المنطقة، برغم ما قاله الدكتور سباير بأنه مسرح لحرب خطيرة جداً. أما إحدى الأمور التي شاهدناها، فهي أنّ الولايات المتّحدة بدأت تدرك ذلك، فبرغم أنها كانت تحاول أن توازن بين المصالح المختلفة، فقد توصلت أخيراً الى التحقق من أنّ الإيرانيين كانوا يحاربون بقوة شديدة على إمتداد المنطقة.

البروفسور باري روبن: بإعتقادي، إنّ النقطة المركزية في هذا النقاش قد ظهرت. فما كان يجب علينا التركيز عليه هو ما إذا كانت الحكومة الحالية ستسقط و يتم إستبدالها بهيمنة حزب الله، سواء كانت هيمنة شديدة أو قليلة. أنا ليست مقتنعاً بأنّ ذلك سوف يحدث. ولست مقتنعاً بأنّ إنتصارهم(حزب الله) حتمي، لكن، وهذا واضح، تعتبر هذه القضية الأهم والأكثر حيوية بالتسبة لصناع السياسة ، لأنه إذا ما أصبح حزب الله العامل الرئيس في الحكومة اللبنانية، فإنّ ذلك سيعني إنتصاراً هائلاً للقوى الراديكالية، إيران، سوريا والإسلاميين.

الدكتور بول جوريدني: باري، أنا أوافق معك. لا أعتقد بأنّ حزب الله سيصبح القوة المهيمنة في السنة أو في السنوات الثلاث أو الأربع المقبلة. ليس هناك من شك بأنه إذا أراد حزب الله الإستيلاء على بيروت، فإنّ بإمكانه القيام بذلك غداً. فـ 60 بالمئة من الجيش اللبناني هم من الشيعة، بعضهم يدينون بتحالفهم وولائهم لحزب الله. وأكثر من ذلك، يملك حزب الله قواته الخاصة ايضاً، بالطبع.

ومع محاولة الإستيلاء على السلطة والإمساك بها، فإنّ ذلك يعني حرباً أهلية مع السنة، المسيحيين والدروز الموحدين معاً في الجانب الآخر. فحتى ميشال عون سيكون عليه التخلي عن حزب الله. فمع وجود حزب الله ممثلاً لمصالح الشيعة في لبنان، فإنه بذلك يحاول الحصول على صوت أقوى في الشؤون اللبنانية، كما يحاول دمج المكاسب التي حصل عليها والتأكد من أنها مقدسة بتفاهم جديد. وأعتقد بأنّ الشيعة

سيودون رؤية صيغة سياسية جديدة للبنان: الثلث للشيعة، الثلث للسنة والدروز، والثلث للمسيحيين. وأعتقد بأنّ سوريا تود العودة ولعب دور في ذلك، إلا أنّ سوريا تعلم بأنّ 90 بالمئة من اللبنانيية، بمن فيهم الشيهة، لا يريدون عودتهم الملموسة الى لبنان.

أما ما يقلقني أساساً، فهو أنه عندما نصل الى تشرين الثاني، فإنه لن يكون هناك طريقة للخروج من الأزمة. وهذا بالنسبة لي بداية التقسيم. فأنا قلق جداً من ظهور وكالات أمنية خاصة في كل بيروت وأماكن مسيحية أخرى. هذه بداية ميليشيات. وهناك أيضاً مسألة وصول الجهاديين من كل العالم العربي، وقد بدأت أقلق من أنه قد تكون إحدى تكتيكات سوريا وحزب الله خلق التقسيم مع عمل الجيش كقوة محايدة مانعاً إياهم (اللبنانيين) من محاربة بعضهم البعض. هذا هو الحل الذي أرى أننا سائرون إليه.

لي سميث: أود القول بضعة أمور سريعة حول دور الشيعة في لبنان. فالدكتور نير يقول بأنه يعتقد بأنه من المحتم، في مرحلة معينة، بانّ يشكل الشيعة الأكثرية ويعملون بذلك التوجه المستقبلي للبنان. ليست هذه هي الطريقة التي يعمل بها النظام اللبناني، ولا أعتقد بأنّ اللبنانيين سوف يسمحون بحصول ذلك. فذلك ممنوع بالدستور بالتأكيد. لا ارى هذا سيحصل، لأنّ باقي المجتمع اللبناني لن يسمح به.

يقول الدكتور جوريدني بأنه يعتقد بأن أكثرية الشيعة تريد أن تكون حقوقها في السياسة اللبنانية والمجتمع اللبناني مقدسة، كما كان كل من حزب الله وأمل قد ساعدا في ذلك في السنوات الـ 20 الماضية. ولا أعلم إن كان هذا ما يريده أكثرية الشيعة. أعتقد بان حزب الله يريد إعاقة المحكمة. إنهم يريدون الإعتراض على السلطة.